نصف رؤية

بيتر ماهر توفيليس

طال الانتظار أكثر من اللازم، قد يكون الانتظار في بعض الأحيان ميزة، لكنها الميزة التي لا يدركها الكثيرون، لكن في تلك الحالة طال الانتظار جدًّا التي لا بد أن تسمى ميئوسا منها.

كانت تعمل في المحل المقابل لمحل الحلاقة كانت ناشفة البدن قد لا ترى هي ذلك في نفسها لكن الكل يعرفها بـ«الناشفة» لم تكن تجيد شيئا في الدنيا إلا البيع في المحل الذي تعمل فيه، كانت تعوض خسارة الزمن بعض الشيء في بعض كلمات الثناء التي تأتي من صاحب المحل، تحس أنه متعاطف مع حالتها في بعض الأحيان، وفي أحيان أخرى يرضى عنها كبائعة قد يكون لديها فن البيع بحق.

وفي ساعات الانتظار، سواء في المحل أو خارج المحل، كانت لها متعة وحيدة في الحياة في أثناء العمل أو بعده، المحل المقابل لها كان محل حلاقة، وأي متعة في ذلك الشخص العادي؟

لكن عندها هي كل المتعة متابعة زبائن الحلاق بكل اهتمام ودون ملل.

بدأ الأمر بالصدفة حينما دخل أحد الزبائن عند الحلاق الذي كانت تعرفه جيدا ولفت انتباهها خناقة بينه وبين الحلاق، اتهمه الزبون بتشويه شعره، وتدخل أهل الشارع لفض المشاجرة ولم يدفع الحساب وغادر وكله غضب، فسرت هي ما حدث بأن الحلاق ربما سرح في أمر ما، فمعروف عنه أنه ممتاز.

وكان ذلك أول يوم عمل لها في المحل.. وفي ساعات العمل الممتدة جذب نظرها هذا المحل المقابل إلى أن تحول الانتباه ومجرد النظر إلى نوع من

obeikan.com

أنواع المتابعة وأخذ الموضوع جانبا كبيرا من الاهتمام وبمرور الوقت أصبحت عادة لا تنقطع..

يدخل الرجل شعره منكوش وذقنه طويل نسبيا ثم يخرج وكأنه شخص آخر والآن هي أيقنت معنى كلمة «مزين» التي كانت تقال وتسمعها دون أن تدرك معناها بدلا من «حلاق» بل قالت في نفسها:

إنها التسمية التي يجب أن تظل إلى الأبد؛ لأنه لا يقص شعر الرأس أو يحلق الذقن فقط، بل تمتد يده إلى الشعر الزائد في الوجه وكأنه طبيب تجميل شعبي.

وهذا ما كانت تعتقد من شدة اهتمامها بالموضوع، الأمر لم ينتهِ على هذا النحو، بل تكاد تحفظ مواعيد حضورهم وإن كانت غير منتظمة إلى حد ما، لكن هناك من كان مثلا يحلق كل خمسة عشر يوما أو كل شهر أو كل شهرين وهناك من كان يحلق ذقنه كل ثلاثة أيام وهناك من لم يكرر الزيارة، زبون المرة الواحدة الذي قد تتعلق هي بوجهه، لكن مع كل أسف لا يأتي مرة أخرى..

تحفظ ملامح الزبائن وتقارن بينهم دائما:

هذا أسمر وذو وجه نحيل، وهذا وجهه بيضاوي أعرف زوجته، لكن لولا حَب الشباب الذي يملأ وجهه لصار من نجوم السينما، لا بد أنه يحاول أن يظهر أمام زوجته بذلك الجمال الباهر، إنها أيضا تستحق.. كم هي جميلة! أتمنى أن يمر مرة على محلنا ليشتري سجائر، أود أن أنصحه بالعمل في مجال الدعاية والإعلان.

كانت في أحيان كثيرة تضع تساؤلات عن أسباب تزين بعضهم، وهي مصممة على هذا الاسم: المزين..

تتصور أن هذا عنده موعد غرامي، وجهه يكاد ينطق بذلك، متورد ومبتسم.. هذا العريس فرحه اليوم.. ما شعوره الآن؟ وما شعور العروس؟

أما أنت فلمن تتزين وأنت أرمل؟ هل تريد الزواج مرة أخرى؟

كانت تعرف القليل وأحيانا أخرى الكثير عن بعض الزبائن نظرا لأن بلدها ليس كبيرا، فإذا جاء شخص من خارج البلد كانت تعرفه.

بدأت تتخيل بعض الأشخاص في فورمات معينة، وهذا يليق وهذا لا يليق على الوجه، تود أن تقدم نصيحة، أنا أريد أن أراك هكذا.. كم تكون أجمل إذا كنت كما أراك أنا، لكنها لا تملك سوى النصيحة في العقل فقط..

كان الكثير من الزبائن يرتادون محلها لشراء السجائر وبعض لوازم المنزل ولا تتحدث معهم في أي شيء مطلقا إلا في البيع والشراء.

تحضر اللب وكأنها أمام شاشة التليفزيون، تحفظ كل خطوات الحلاق، بل تحتفظ في ذهنها بملف خاص لكل فورمة وتسريحة، حتى القرع وإن كان منظرهم أثناء الحلاقة يثير فيها بعض روح الدعابة والفكاهة إلا أنها تحب إصرارهم على التزين ولو من باب الوجاهة الاجتماعية.

باب المحل بوابة الحياة نفسها، ليالي ألف ليلة وليلة، كل يوم حكاية، وموعد غلق المحل هو صياح الديك والتوقف عن الكلام المباح في تلك الليلة ليعود الحكي في ليلة أخرى تنتظرها بفارغ الصبر، وهذا ما زاد من تمسكها بالمحل على الرغم من وجود محلات تطلبها لتعمل فيها بأجر أكبر، لكن يفتقد هذه الميزة، البوابة، البعض كان ينصحها أنها لا بد أن تفكر في الأفضل وهي لم تسمع ولن تسمع.

وعند رجوعها من العمل كانت تذكر نفسها بكل ما رأت وتسعد جدًّا بما رأت وبما أحست وكأنه فيلم ترى نفسها متزوجة هذا أو ذاك، هذا معجب بها، هذا اشترى لها باقة ورود.

أجمل يوم لديها هو حضور وجه جديد سوف يزيد عندها الوجوه التي تنتظرها، خصوصا إذا كان وسيم الملامح.

وهنا هي تلاحظ اهتماما غير عادي من الحلاق بالزبون الجديد وكأنه يدخل صراعا نفسيا بينه وبين الزبون والطرف الثالث الأهم وهو المقص، صراعا لثبات الذات ليستحق لقب أحسن حلاق في البلد ويشكره وبطريقة

غير مباشرة على نول ثقته في دخوله عنده.
تراقب هي كيف يحاول هو إظهار إبداعه وتقديم أجمل ما عنده من خبرات في الحلاقة حتى تتكرر الزيارة.
وعند إعطاء الحساب تنظر إلى تعبيرات الحلاق سواء بالرضا أو الرفض الصامت بالحساب الذي يكون، حسب تقدير الزبون.
بالطبع كان يلاحظ الحلاق نظراتها وتأملاتها في أول الأمر.. اعتقد أنه إعجاب به، لكنه بعد فترة فهم ما في الأمر، بل ذهب الأمر أبعد من ذلك حينما لاحظها بعض الزبائن، البعض قال إنها مجنونة والبعض الآخر أشفق عليها..
هي لم تلاحظ ملاحظاتهم ولا تنهض من فوق الكرسي إلا في حالات قليلة جدًّا، وإذا طالت عملية البيع والشراء مع زبون عندها في المحل تكون عين في محلها وعين أخرى عند الحلاق.
في أحد الأيام التي اعتبرتها أسوأ أيام حياتها على الإطلاق فتحت المحل كالعادة وانتظرت الحلاق يحضر فلم يحضر اليوم كله.
سأل الزبائن عنه لكنه لم يحضر، تساءلت وبقلق: ماذا حدث؟
إنه ليس يوم إجازة أو عطلة.. دارت الظنون والشكوك: مريض.. أم قد يكون مات؟
لكنه إذا مات هل سيستمر النشاط؟ وهي تعلم علم اليقين ألا أحد من أولاده يعمل في هذه المهنة.. وهنا قد تكون الصدمة الحقيقية..
لكن بعد مرور أكثر من يوم علمت أن هناك خلافات بين صاحب المحل وصاحب العمارة على الإيجار.
بعد ثلاثة أشهر من الجدل فتح المحل ثانية وعاود النشاط..
كانت في قمة السعادة.. أحضرت الكرسي واللب والفول السوداني لتعوض ما قد ضاع منها في الفترة الماضية.. كم مر من الوقت ملل قاتل وهدوء غريب وحياة رتيبة كئيبة لا طعم لها ولا ونيس ولا رفيق فيها، لكن كل شيء عاد.

في أحد الأيام قرر الحلاق، وبعد زيادة الحركة والضوضاء في الشارع، إحضار ستارة شفافة تمنع الضوضاء لكن لا تحجب الرؤية على النحو الذي يستطيع الذي في الخارج أن يرى الذي بالداخل وإن كان ليس بالكثير لكن ليس بالقليل أيضا.

كاد قلبها ينخلع من مكانه حينما رأت الستارة ولم تهدأ ولم ترتَح إلا حينما رأت كل شيء وإن كانت الرؤية ليست كما في السابق لكنها والحمد لله موجودة ولو تكون نصف رؤية!!

obeikan.com